

فتح القدير

12 - { لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا } لولا هذه هي التحضيضة تأكيداً للتوبيخ والتقريع ومبالغة في معاتبتهم : أي كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الإفك أن يقيسوا ذلك على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فيهم فهو في أم المؤمنين أبعد قال الحسن : معنى بأنفسهم بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة ألا ترى إلى قوله : { ولا تقتلوا أنفسكم } قال الزجاج : ولذلك يقال للقوم الذي يقتل بعضهم بعضاً إنهم يقتلون أنفسهم قال المبرد ومثله قوله سبحانه : { فاقتلوا أنفسكم } قال النحاس : بأنفسهم بإخوانهم فأوجب الله سبحانه على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه قال العلماء : إن في الآية دليلاً على أن درجة الإيمان والعفاف لا يزيلها الخبر المحتمل وإن شاع { وقالوا هذا إفك مبين } أي قال المؤمنون عند سماع الإفك هذا إفك ظاهر مكشوف